
من قصص القرآن
سبأ وتُبّع
العلم نور



﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ طه، 99

سبأ وتبع

إعداد : كمال قندوزي

مراجعة لغوية: ساعد العلوي



المكتبة الخضراء
للطباعة و النشر و التوزيع
1 أ شارع الزواوة الشراقة الجزائر
www.bverte.net



لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسَٰكِنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ
مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ
فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ
ذَوَاتَيۡ أُكُلِ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ
جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ يُجۡزَىٰٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورُ ١٧ وَجَعَلۡنَا
بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا
فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا
بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ
وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ
شَكُورٖ ١٩

سورة سبأ، 15-19

تَكَاثُرُ أَوْلَادِ سَبَإٍ فِي الْيَمَنِ

كَانَتِ اليَمَنُ قَدِيمًا تَضُمُّ شَعْبَيْنِ هُمَا سَبَأٌ وَحَضْرَمَوْتَ، وَأَصْلُ هَذَيْنِ الشَّعْبَيْنِ هُوَ قَحْطَانُ، الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ، وَمَا زَالَتْ سُلَالَتُهُ تَتَكَاثَرُ حَتَّى صَارَتْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ؛ فَسَبَأٌ وَحَضْرَمَوْتَ هُمَا مِنْ سُلَالَةِ قَحْطَانَ وَسُمِّيَ سَبَأٌ بِهَذَا الاِسْمِ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَبَأَ فِي العَرَبِ (أَيْ أَدْخَلَ السَّبْيَ إِلَى اليَمَنِ وَالسَّبْيُ: نِسَاءٌ يُؤْخَذْنَ فِي الْحَرْبِ)، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ أَيْضًا بِالرَّائِشِ، وَسَبَبُ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ أَنَّهُ حَارَبَ قَوْمًا فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَنِمَ أَمْوَالَ العَدُوِّ بَعْدَ الغَزْوِ، وَقَسَّمَهَا عَلَى قَوْمِهِ، فَلُقِّبَ بِالرَّائِشِ لأَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْمَالَ رِيشًا.

لَقَدْ تَكَاثَرَتْ سُلَالَةُ سَبَإٍ وَحَضْرَمَوْتَ، وَتَضَاعَفَ أَفْرَادُهَا حَتَّى أَصْبَحَتْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ. فَبَعْدَ زَوَاجِهِ انْحَدَرَ مِنْهُ عَشَرَةُ أَبْنَاءٍ هُمْ: الأَزْدُ وَحِمْيَرُ وَكِنْدَةُ وَمَذْحِجُ وَأَنْمَارٌ وَالأَشْعَرِيُّونَ وَلَخْمٌ وَجُذَامُ وَعَامِلَةُ وَغَسَّانُ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ هُمْ مِنْ صُلْبِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ هُمْ مِنْ أَحْفَادِهِ.

سَبَأٌ تَعِيشُ فِي رَفَاهِيَةٍ

إِنَّ هَذَا العَدَدَ الْهَائِلَ مِنَ الأَبْنَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَقْطُنُونَ مَدِينَةَ سَبَإٍ انْتَشَرُوا وَتَوَزَّعُوا فِي أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الأَرْضِ.

كَانَتْ سَبَأٌ مَدِينَةً كَبِيرَةً جِدًّا، يَعِيشُ بِهَا مُلُوكُ الْيَمَنِ وَأَهْلُهَا، وَمِنْ مُلُوكِهِمْ بَلْقِيسُ صَاحِبَةُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قِصَّتَهَا فِي سُورَةِ النَّمْلِ، وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ مُنْذُ القِدَمِ رَائِعَةَ الْجَمَالِ تُحِيطُ بِهَا أَرَاضٍ خِصْبَةٌ شَاسِعَةٌ، يَنْبُتُ فِيهَا كُلُّ أَنْوَاعِ الفَوَاكِهِ وَالزُّرُوعِ وَالْخُضَارِ، فَهِيَ جَنَّةُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، وَفِيهَا وَجَدَتِ الطُّيُورُ مَأْوًى لَهَا، وَلَقَدْ تَخَلَّلَتْ أَرَاضِيَهَا الأَنْهَارُ وَالأَوْدِيَةُ، وَبِهَا ازْدَادَتْ رَوْنَقًا وَجَمَالاً، فَطَابَ هَوَاؤُهَا وَاعْتَدَلَ مُنَاخُهَا، وَعَاشَ أَهْلُهَا فِي سَعَةٍ وَنِعْمَةٍ وَغِبْطَةٍ مِمَّا أَنْبَتَتِ الأَرْضُ مِنْ ثِمَارٍ وَزُرُوعٍ، وَلِهَذَا كَانَتْ مَهْبِطَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ لِيُذَكِّرُوا أَهْلَهَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ، وَوُجُوبِ شُكْرِهِ بِالْعِبَادَةِ؛ فَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْمَدْحِ وَالشُّكْرِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُعْبَدُ بِحَقٍّ لَا غَيْرُهُ، وَكَانُوا يُنْصِتُونَ لِكَلامِ الأَنْبِيَاءِ وَيَتَّبِعُونَ إِرْشَادَاتِهِمْ وَنَصَائِحَهُمْ وَتَعَالِيمَهُمْ، فَزَادَهُمُ اللَّهُ نِعَمًا كَثِيرَةً؛ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم، 7. فَبِشُكْرِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ يَزْدَادُ العَبْدُ نِعْمَةً وَفَضْلاً.

بِنَاءُ السَّدِّ وَانْحِرافُ عَنِ الدِّينِ

وَبعْدَ مُرُورِ أَزْمِنَةٍ وَطُولِ عهْدٍ، وَتَعاقُبِ الأَجْيَالِ وَالأَقْوَامِ، انْحدرَ عَنِ الأَجْدادِ سُلالَةٌ لَمْ تكُنْ مِثْلَ الأَوَّلِينَ السَّابِقِينَ؛ فَقَدْ أَعْرَضُوا عَمَّا أُمِرُوا بِهِ، إِلَى أَنْ جَاءَ زَمَنُ بَلْقِيس مَلِكَةِ سَبإٍ الَّتِي كَانَتْ وَقَوْمَهَا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ثُمَّ اهْتَدَتْ عَلَى يَدِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَآمَنَ مَعَهَا قَوْمُهَا لأَنَّهُمْ تبَعًا لَهَا.

كَانَ فِي أَرْضِهِمْ نَهْرٌ ذُو أَهَمِّيَةٍ يَمُرُّ بِحُقُولِهِمْ، وَكُلُّ فِئَةٍ تُرِيدُ اسْتِغْلَالَهُ وَالِاسْتِحْوَاذَ عَلَى مَائِهِ وَحْدَهَا، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ النِّزَاعُ وَكَثُرَتْ بِسَبَبِهِ الْخُصُومَاتُ. وَلَمَّا رَأَتْ بَلْقِيسُ تنَازُعَ قَوْمِهَا عَلَيْهِ، اهْتَدَتْ بِحِكْمَتِهَا الْمُوَفَّقَةِ وَسَدِيدِ رَأْيِهَا وَرَجَاحَةِ عَقْلِهَا إِلَى أَنْ تَرْبطَ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ بِبِنَاءٍ عَالٍ فَسَدَّتْ مَا بَيْنَهُمَا بِالصَّخْرِ وَالقَارِ (الزِّفْتِ)، وَأَصْبَحَ بِنَاءً فِي غَايَةِ الإِتْقَانِ وَالإِحْكَامِ، وَجَعَلَتْ لَهُ أَبْوَابًا ثَلَاثَةً بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَبَنَتْ دُونَهُ بِرْكَةً عَظِيمَةً وَجَعَلَتْ فِيهَا اثْنَيْ عَشَرَ مَخْرَجًا، يَفْتَحُونَهَا كُلَّمَا احْتَاجُوا إِلَى الْمَاءِ، وَيَسُدُّونَهَا إِذَا اكْتَفَوْا، وَإِذَا هَطَلَ الْمَطَرُ اجْتَمَعَتْ فِيهِ أَوْدِيَةُ الْيَمَنِ،

فَيُفْتَحُ البَابُ الأَعْلَى فِي السَّدِّ لِيَتَدَفَّقُ عَلَى البِرْكَةِ فَتَزْدَادُ امْتِلاءً، وَإِنْ لَمْ تَكْفِ تِلْكَ البِرْكَةُ فِي السَّقْيِ فُتِحَ البَابُ الثَّانِي ثُمَّ الثَّالِثُ مِنَ السَّدِّ، فَلاَ يَنْضُبُ الْمَاءُ حَتَّى يَأْتِيَ العَامُ الْمُوَالِي فَيَمْتَلِئُ مَرَّةً أُخْرَى.

كَانَ النَّاسُ مِنْ أَهْلِ سَبَإٍ عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ النَّقِيِّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلَكِنَّهُمْ عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الشَّمْسِ وَالأَصْنَامِ الَّتِي ظَلُّوا لَهَا عَاكِفِينَ، وَلَهَا سَاجِدِينَ، وَبِالذَّبَائِحِ لَهَا مُقَرِّبِينَ رَاجِينَ رِضَاهَا، وَمِنْهَا خَائِفِينَ، وَفِيهَا رَاغِبِينَ، وَمِنْهَا رَاهِبِينَ، فَتَبَدَّلَ صَفَاؤُهُمْ إِلَى كَدَرٍ، وَتَحَوَّلَ النَّقَاءُ إِلَى أَقْذَارٍ، وَتَغَيَّرَ التَّوْحِيدُ إِلَى شِرْكٍ، وَالطَّاعَاتُ إِلَى مَعْصِيَةٍ. فَعَاثُوا فِي الأَرْضِ فَسَادًا بَعْدَ إِصْلاَحِهَا، وَلأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ، وَلاَ يُرِيدُ إِلاَّ الْخَيْرَ لِعِبَادِهِ رَأَى أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْ تِيهِهِمْ وَضَلاَلِهِمْ وَشِرْكِهِمُ العَظِيمِ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنْ هَذَا الظَّلاَمِ الدَّامِسِ إِلَى النُّورِ الْوَضَّاءِ، نُورِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ بِطَاعَةٍ تَامَّةٍ لأَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابٍ لِنَوَاهِيهِ.

تَوَسُّعُ مُلْكِ (تُبَّعٍ) وإِيمانُ قَوْمِهِ

وَمِنْ مُلُوكِ اليَمَنِ كَذلِكَ تُبَّعُ (هُوَ لَقَبُ مَنْ يَحْكُمُ سَبأً وَحضْرَمَوْتَ) الَّذي تَوَلَّى الْحُكْمَ فِي المَمْلَكَةِ كُلِّهَا كَما تَحكَّمَ فِي مُعْتَقَدِهِمْ، وَهُوَ مِنْ عُبَّادِ النَّارِ وَالأَصْنامِ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ النَّاسَ عَلى دِينِ مُلُوكِهِمْ.

لَقَدْ اسْتَطَاعَ بِفَضْلِ سِيَاسَتِهِ الْحَكِيمَةِ، أَنْ يُوَسِّعَ مَمْلَكَتَهُ وَيُكَوِّنَ جَيْشًا جَرَّارًا وَصَلَ بِهِ إِلَى سَمَرْقَنْدَ (فِي وَسَطِ آسْيَا) فَعَظُمَ سُلْطَانُهُ، وَقَوِيَ جَيْشُهُ، وَكَثُرَتْ رَعِيَّتُهُ، وَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ (يَثْرِبَ)، فَأَرَادَ قِتَالَ أَهْلِهَا لَكِنَّهُمْ تَصَدَّوْا لَهُ وَقَاتَلُوهُ بِالنَّهارِ، وَإِذَا حَلَّ اللَّيْلُ اسْتَضَافُوهُ وَقَدَّمُوا لَهُ الأَكْلَ، وَقَدْ كَانَ سُكَّانُهَا مِنَ اليَهُودِ وَالعَرَبِ؛ فَاسْتَحْيَا مِنْهُمْ، وَكَفَّ عَنْهُمُ الْحَرْبَ لِكَرَمِهِمْ، ثُمَّ اصْطَحَبَ مَعَهُ حَبْرَيْنِ (رَجُلَيْ دِينٍ مِنَ اليَهُودِ) مِنَ الَّذينَ يُعَلِّمُونَ التَّوْرَاةَ، فَنَصَحَاهُ وَأَخْبَرَاهُ أَنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ الإسْتِيلاءَ عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ دُخُولَهَا لأَنَّهَا سَوفَ تَكونُ الأَرْضَ الَّتِي يُهَاجِرُ إِلَيْهَا آخِرُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا وَاصَلَ سَيْرَهُ بِجَيْشِهِ مَرَّ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، وَأَرَادَ هَدْمَ الْكَعْبَةِ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِيحًا لَا يَكَادُ يَقُومُ القَائِمُ فِيهَا إِلَّا بِمَشَقَّةٍ، وَكَادُوا يَهْلَكُونَ، فَدَعَا حَبْرَيْهِ (الرَّاهِبَيْنِ) لِيَسْأَلَهُمَا عَنْ هَذَا الأَمْرِ، فَقَالَا لَهُ: أَتُؤَمِّنُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا إِذَا أَخْبَرْنَاكَ، قَالَ لَهُمَا: أَنْتُمَا آمِنَانِ، فَقَالَا: إِنَّكَ تُرِيدُ بَيْتًا يَمْنَعُهُ اللَّهُ مِمَّنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ، وَأَعْلَمَاهُ بِعَظَمَةِ هَذَا البَيْتِ وَتَارِيخِ بِنَائِهِ العَائِدِ إِلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا سَيَكُونُ لَهُ مِنْ شَأْنٍ عَظِيمٍ عَلَى يَدَي النَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَذْهَبُ هَذِهِ الرِّيحُ عَنِّي، قَالَا: تَجَرَّدْ مِنْ أَثْوَابِكَ وَالْبَسْ ثَوْبَيْنِ ثُمَّ قُلْ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، ثُمَّ تَدْخُلُ فَتَطُوفُ، وَلَا تُهَيِّجْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ، قَالَ: فَإِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ذَهَبَتْ هَذِهِ الرِّيحُ عَنِّي؟ قَالَا: نَعَمْ. فَعَظَّمَ الكَعْبَةَ وَطَافَ بِهَا، وَكَسَاهَا أَحْسَنَ كُسْوَةٍ فَأَذْهَبَ اللَّهُ الرِّيحَ عَنْهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْيَمَنِ، وَأَسْلَمَ لِدِينِ اللهِ أَيْ دِينِ اليَهُودِ الَّذِي كَانَ مَوْجُودًا آنَذَاكَ.

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ، دِينِ اللَّهِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ لَا غَيْرُهُ مِنَ النِّيرَانِ وَالأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا،

فَاتَّبَعَهُ وَآمَنَ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ عَامَّةُ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَكَانَ سَعْيُهُ مَشْكُورًا، وَذَنْبُهُ مَغْفُورًا، فَاللَّهُ وَعَدَ أَجْرًا عَظِيمًا لِلَّذِي يَهْتَدِي بِسَبَبِهِ شَخْصٌ وَاحِدٌ، فَمَا مِقْدَارُ أَجْرِ مَنْ كَانَ سَبَبًا فِي هِدَايَةِ أُنَاسٍ كَثِيرِينَ كَحَالِ تُبَّعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ !

عَوْدَةٌ إِلَى الْوَثَنِيَّةِ

وَلأَنَّ قَوْمَ تُبَّعٍ لَمْ يَثْبُتُوا عَلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الالْتِزَامِ بِالدِّينِ وَخَالَفُوهُ فِي دَعْوَتِهِ، وَعَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ النَّارِ وَتَمْجِيدِ الأَصْنَامِ فَوْرَ مَوْتِهِ، ذَمَّهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَلَمْ يَذُمَّ تُبَّعًا لأَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْحَقِّ، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ الدخان، 37.

فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عِقَابًا عَلَى رِدَّتِهِمْ وَانْحِرَافِهِمْ عَنِ الدِّينِ، وَقَدْ ذَكَرَ لَنَا سُبْحَانَهُ كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ مُبَيِّنًا حَالَهُمْ قَبْلَ الرِّدَّةِ عِنْدَمَا كَانُوا يَشْكُرُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ.

جَزَاءُ الْجُحُودِ وَالْكُفْرِ

لَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي رَغَدٍ مِنَ الْعَيْشِ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ، وَلأَنَّهُمْ حَادُوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ بَدَّل اللَّهُ حَالَهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ إِلَى نِقْمَةٍ، وَمِنْ أَمَانٍ وَاطْمِئْنَانٍ إِلَى خَوْفٍ وَرُعْبٍ بَعْدَ أَنْ كَانُوا كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ سبأ، 15. نَعَمْ لَقَدْ كَـــانَتْ أَرْضُ سَبَإٍ آيَةً فِي الْجَمَالِ وَالنَّضَارَةِ، لِذَلِكَ عَظَّمَهَا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَكَانَتْ عِبَارَةً عَنْ جَنَّتَيْنِ وَارِفَتَي (مُمْدَّتَي، وَاسِعَتَي) الظِّلَالِ، وَمَا أُمِرَ أَهْلُ سَبَإٍ إِلَّا بِمَا يَلِي: ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ فَيَالَهَا مِنْ نِعْمَةٍ! وَيَا لَهُ مِنْ أَمْرٍ يَسِيرٍ لَوْ امْتَثَلُوا لِأَمْرِ اللَّهِ لِيَغْفِرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ وَيَعْفُوَ عَنْ زَلَّاتِهِمْ، وَلِكَوْنِهِمْ بَشَرًا فَوُقُوعُهُمْ فِي الْخَطَأِ وَالتَّقْصِيرِ مُحْتَمَلٌ جِدًّا، وَلَكِنَّهُمْ أَبَوْا أَنْ يَقُومُوا بِوَاجِبِ الشُّكْرِ لله، وَوَجَّهُوا الشُّكْرَ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الأَصْنَامِ.

وَلَمَّا أَعْرَضُوا عَنْ شُكْرِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ تَبَدَّلَتِ الْجَنَّتَانِ فَانْدَثَرَتِ الأَرْزَاقُ، وَزَالَ النَّعِيمُ، وَقَلَّ الأَمْنُ، وَقَدْ بَيَّنَ الله سُبْحَانَهُ هَذَا فِي

كِتَابِهِ وَقَالَ فِيهِمْ: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ سبإ، 16، كَانَ سَيْلًا عَظِيمًا سَلَّطَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ الْعَظِيمِ الشَّاهِقِ الَّذِي هُوَ السَّدُّ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ أَتَى عَلَيْهِ مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ يُشْبِهُ الْجِرْذَانَ يُسَمَّى الْخَلَدَ قَامَ بِثَقْبِهِ مِنْ أَسْفَلَ فِي نَوَاحٍ عَدِيدَةٍ حَتَّى ضَعُفَ وَوَهَى، وَلَمَّا جَاءَتْ أَيَّامُ السُّيُولِ صَدَمَ الْمَاءُ الْبِنَاءَ فَتَدَفَّقَ إِلَى أَسْفَلِ الْوَادِي، فَخَرَّبَ الأَبْنِيَةَ وَقَلَعَ تِلْكَ الأَشْجَارَ الْيَانِعَاتِ وَالنَّخْلَ الْبَاسِقَاتِ وَالثِّمَارَ الطَّازِجَاتِ وَالْحَدَائِقَ الْفَارِهَاتِ (الْمَلِيحَةَ الْحَسْنَاءَ). فَطُمِسَتِ النَّضَارَةُ وَتَحَوَّلَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى وَحْلٍ وَطِينٍ، وَانْقَطَعَ الْمَاءُ عَنِ الأَشْجَارِ لأَنَّ السَّدَّ الَّذِي كَانَ يُمْسِكُ الْمَاءَ لِتُسْقَى بِهِ أَنْهَارٌ، فَيَبِسَتْ وَتَحَوَّلَتِ الْجَنَّتَانِ إِلَى جَنَّتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ، وَلَكِنْ فِي شَكْلٍ آخَرَ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذَا التَّحَوُّلَ فَقَالَ: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ سبإ، 16. صَارَتِ الْجَنَّتَانِ الْجَدِيدَتَانِ تُؤْتِيَانِ ثِمَارًا مِنْ نَوْعٍ آخَرَ غَيْرَ الَّتِي كَانَتْ تُوجَدُ بِهِمَا مِنْ قَبْلُ، فَهِيَ لِرَدَاءَتِهَا تُقَزِّزُ النَّفْسَ وَتَقْبِضُهَا، فَلَا

تُؤْكَلُ إِلَّا تَجرُّعًا، فَلا تَرْغَبُ فِيهَا النُّفُوسُ وَلاَ تَشْتَهِيهَا، وَلَــوْلاَ الْحَــاجَةُ مَا أُكِلَتْ، وَذَلِكَ كَثِمَارِ الْخَمْطِ (الأَرَاكِ) الَّتِي تُسَمَّى (البَرْبَرَ) وَهِيَ ثِمَارٌ مُرَّةٌ، وَالنَّاضِجُ مِنْ ثِمَارِهَا يُسَمَّى الْكَبَاثَ، وَأَطْيَبُهُ الأَسْوَدُ، أَمَّا الأَثْلُ فَهُوَ الطَّرْفَاءُ، مَعَ قَلِيلٍ مِنْ شَجَرِ السِّدْرِ كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ سبإ، 16. وَالسِّدْرُ هُوَ شَجَرُ النَّبْقِ، يُنْتَفَعُ بِوَرَقِهِ فِي غَسْلِ اليَدَيْنِ، وَيُوجَدُ بِكَثْرَةٍ فِي البَسَاتِينِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا الْمَاءُ، وَلَكِنَّ السِّدْرَ الَّذِي أَعْطَاهُمُ اللَّهُ إِيَّاهُ هُوَ سِدْرٌ بَرِّيٌّ لا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَلاَ يَصْلُحُ وَرَقُهُ لِشَيْءٍ. فَبَعْدَ أَنْ كَانَ شَجَرُهُمْ مِنْ خَيْرِ الشَّجَرِ صَيَّرَهُ اللَّهُ مِنْ أَسْوَإِ الشَّجَرِ لأَعْمَــالِهِمُ الشَّنِيعَةِ، وَهُــوَ مَا تُؤَكِّدُهُ الآيَةُ الكَرِيمَةُ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ سبإ، 17. فَاللَّهُ لَمْ يَظْلِمْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ ظَلَمُــوا أَنْفُسَهُــمْ، وَأَيُّ ظُلْمٍ أَعْظَــمُ مِنَ الكُفْرِ وَالشِّــرْكِ.

عِقابٌ آخَرُ عَلَى الْجُحُودِ

لَقَدْ كَانَ لأَهْلِ سَبَإٍ تِجارَةٌ وَتَعامُلٌ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّا جعلَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ علَيْها، وَهُمْ فِي ارْتِحالِهِمْ لاَ يَجِدُونَ مَشَقَّةً لِكَثْرَةِ مُدُنِهِمْ وَازْدِهارِهَا وَتَقارُبِها مِنْ بعْضِها، وَإِنْ رَحَلُوا لاَ يَحْمِلُونَ الزَّادَ معَهُمْ، فَهُمْ يَبِيتُونَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَيَقِيلُونَ فِي الَّتِي تَلِيهَا وَهكَذا دَوالَيْكَ. فَكَانَتْ ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ إِنَّ القَرْيَةَ الثَّانِيَةَ تَظْهَرُ لِلنَّاظِرِ مِنْ مَكَانِ الأُولَى لِدُنُوِّهَا مِنْهَا، كَمَا لَمْ يَكُونُوا يَخافُونَ عدُوًّا وَلاَ قَاطِعَ طَرِيقٍ. وَقَدْ بيَّنَ اللَّهُ سُبْحانَهُ هَذِهِ النِّعْمَةَ فَقالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا -أَيِ الشَّامَ- قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ سبإ، 18. فَمَشْيُهُمْ كَانَ مُقدَّرًا إِلَى أَنْ يَصِلُوا إِلَى الشَّامِ سَالِمِينَ آمِنِينَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ، وَلَكِنَّهُمْ تَمَنَّوْا أُمْنِيَّةً ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ سبإ، 19 وَاسْتَبْدَلُوا السَّيِّءَ بِالْحَسَنِ، وَاسْتَبْدَلُوا التَّعَبَ بِالرَّاحَةِ، وَاسْتَبْدَلُوا الْخَوْفَ بِالأَمْنِ، فَحقَّقَ اللَّهُ سُبْحانَهُ بِعَدْلِهِ وَعِلْمِهِ أُمْنِيَّتَهُمْ، وَدَمَّرَ القُرَى العَامِرَةَ

الَّتي كَانُوا يَمُرُّونَ بِهَا فِي أَسْفَارِهِمْ، وَأَصْبَحَتْ مَغَاوِرَ مُقْفِرَةٍ مُخِيفَةٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَصْبَحُوا يُسَافِرُونَ لِتِجَارَتِهِمْ بِمَشَقَّةٍ وَخَوْفٍ، يَحْمِلُونَ مَعَهُمُ الزَّادَ، وَيَأْخُذُونَ الرَّوَاحِلَ (جَمْعُ رَاحِلَةٍ هِيَ النَّاقَةُ أَوِ الْحِصَانُ) فِي الْحَرِّ وَالقَرِّ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ آمِنِينَ، فَصَارَتِ الشَّامُ الَّتي يَقْصِدُونَهَا لِلتِّجَارَةِ مِنْ أَبْعَدِ الأَمَاكِنِ، وَالوُصُولُ إِلَيْهَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بَعْدَ جُهْدٍ جَهِيدٍ، وَبِشِقِّ الأَنْفُسِ، لَقَدْ تَمَنَّوُا الشَّرَّ فَأُعْطُوهُ، وَأَضْحَتْ قِصَّتُهُمْ طُرْفَةَ الْمَجَالِسِ، وَأُحْدُوثَةَ النَّاسِ تَلُوكُهَا الأَلْسُنُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَا زَالَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ سَبَإٍ وَمَا حَلَّ بِهِمْ لِبَغْيِهِمْ وَظُلْمِهِمْ إِلَى الْيَوْمِ، وَجَعَلَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَدِيثَ العَامِّ وَالْخَاصِّ.

وَلَمَّا ضَاقَ بِهِمُ الْحَالُ، تَفَرَّقُوا فِي البِلَادِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ سبإ، 19 فَبَعْدَ أَنْ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ مُتَّحِدِينَ مُتَلَاحِمِينَ مُتَنَاصِرِينَ أَصْبَحُوا مُشَتَّتِينَ مُتَفَرِّقِينَ فِي البُلْدَانِ، وَصَارَ يُضْرَبُ بِهِمُ الْمَثَلُ وَيُقَالُ فِي تَفَرُّقِهِمْ وَتَشَتُّتِهِمْ: تَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَإٍ، وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ.

وَبَيْنَمَا ذَهَبَتْ لَخْمٌ وَحذَام وَعَامِلَةُ وَغَسَّانُ إِلَى الشَّامِ مَكَثَتْ سُلاَلَةُ مَذْحِجٍ وَكِنْدَةَ وَالأَزْدِ وَالأَشْعَرِيِّينَ وَأَنْمَارٍ وَحِمْيَـرَ بِالْيَمَنِ، وَلَكِنَّهُمْ تفرَّقُوا هُمْ أَيْضًا هُنَـا وَهُنَاكَ فِي بُلْدَانٍ مُخْتَلِفَةٍ بَعْدَ أَنْ كَانُوا كُلُّهُمْ يَمَنِيِّينَ مِنْ سَبَإٍ، وَبَعْدَمَا كَـانُوا يَعِيشُونَ فِي الْبَلَدِ الَّذِي كَـانَ فِيهِ السَّـدُّ العَظِيمُ الْمَعْرُوفُ بِسَدِّ مَـأْرِبٍ، الَّذِي تَحطَّمَ وَبَقِيَتْ أَطْلاَلُهُ إِلَى اليَوْمِ إِذْ قَالَ تَعَالَى عَنْهُ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ سبإ، 19. أَيْ فِيمَا تَرَوْنَ وَتَسْمَعُونَ عَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ عَلاَمَـاتِ اعْتِبَارٍ ﴿ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ سبإ، 19؛ فَهِيَ آيَةٌ لِلصَّابِرِينَ فِي الضَّرَّاءِ، الشَّاكِرِينَ فِي النَّعْمَاءِ، وَلَيْسَتْ لِلضَّجُورِ الْكَنُودِ الْكَفُورِ الْحَسُودِ، فَهَذِهِ الآيَةُ لاَ تُحرِّكُ فِيهِ سَاكِنًا، وَلاَ تَزِيدُهُ إِيمَانًا، وَهُوَ يُشْبِهُ أَهْلَ سَبَإٍ فِيمَا كَانُوا فِيهِ مِنْ عَدَمِ الشُّكْرِ وَالْعِصْيَانِ.

أسئلة لتفهُّم القصة

1- سَبَأٌ: اسْمُ زَعِيمِ الْيَمَنِ قَدِيمًا مَنْ هُوَ جَدُّهُ الأَكْبَرُ؟ وَكَمْ هُوَ عَدَدُ أَبْنَائِهِ؟ سَمِّهِمْ.
2- سَبَأٌ: هَذَا الاسْمُ سُمِّيَتْ بِهِ كَذَلِكَ مَدِينَةٌ سَكَنَتْهَا زَعِيمَةٌ عَظِيمَةٌ. مَنْ هِيَ؟
3- لَخِّصْ فِي فِقْرَةٍ عَنَاصِرَ الْجَمَالِ وَالْخِصْبِ اللَّذَيْنِ تَمْتَازُ بِهِمَا هَذِهِ الْمَدِينَةِ.
4- كَيْفَ كَانَ سُلُوكُ أَهْلِ سَبَإٍ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ؟
5- بَعْدَ مَوْتِ الصَّالِحِينَ هَلْ يَبْقَى أَبْنَاؤُهُمْ يَعْبُدُونَ الوَاحِدَ الأَحَدَ؟ فِي زَمَنِ أَيِّ مَلِكٍ وَقَعَ هَذَا؟
6- كَانَ فِي أَرْضِهِمْ نَهْرٌ اشْتَدَّ عَلَيْهِ النِّزَاعُ فَإِلَى مَاذَا اهْتَدَتْ إِلَيْهِ بَلْقِيس لِتَفْعَلَهُ كَيْ تُنْهِيَ النِّزَاعَ عَلَى النَّهْرِ؟
7- بَعْدَمَا دَخَلَتْ بَلْقِيسُ الدِّينَ الْحَقَّ عَلَى يَدِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ هَلْ بَقِيَ أَهْلُ سَبَإٍ مُتَّبِعِينَ دِينَ اللَّهِ؟ مَاذَا وَقَعَ لَهُمْ بَعْدَ عِصْيَانِهِمْ؟
8- تُبَّعٌ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ خَرَجَ غَازِيًا مُحَارِبًا لِتَوْسِيعِ مَمْلَكَتِهِ. مَا هِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي مَرَّ بِهَا أَوَّلًا؟ وَكَيْفَ عَامَلَهُ أَهْلُهَا؟
9- مَا هِيَ الْمَدِينَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي مَرَّ بِهَا؟ وَمَاذَا وَقَعَ لَهُ فِيهَا؟ اذْكُرْ ذَلِكَ بِاخْتِصَارٍ.
10- بِمَاذَا أَخْبَرَ الرَّاهِبَانِ تُبَّعاً؟ وَبِمَاذَا نَصَحَاهُ؟
11- مَاذَا فَعَلَ تُبَّعٌ عِنْدَمَا عَادَ إِلَى الْيَمَنِ؟ وَبِمَاذَا قُوبِلَتْ دَعْوَتُهُ مِنَ النَّاسِ؟
12- كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ وَنِهَايَةُ قَوْمِ تُبَّعٍ بَعْدَمَا انْحَرَفُوا عَنِ الدِّينِ الصَّحِيحِ؟
13- كَانَ فِي سَبَإٍ جَنَّتَانِ يَتَمَتَّعُ بِهِمَا النَّاسُ اذْكُرْ مَا كَانَ فِي هَذِهِ الْبَلْدَةِ مِنْ نَعِيمٍ، وَكَيْفَ كَانَ عِقَابُهُمْ بَعْدَ إِعْرَاضِهِمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ؟
14- بَعْدَ عِقَابِ أَهْلِ سَبَإٍ بَدَّلَهُمُ اللَّهُ جَنَّتَيْنِ عَنْ جَنَّتَيْهِمْ، صِفْ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ الْجَدِيدَتَيْنِ.
15- لِأَهْلِ سَبَإٍ تِجَارَةٌ وَتَعَامُلٌ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ، وَفِي الطَّرِيقِ تُوجَدُ مَحَطَّاتٌ لِلرَّاحَةِ، مَاذَا طَلَبَ تُجَّارُ سَبَإٍ الْمُسَافِرُونَ إِلَى الشَّامِ مِنَ اللَّهِ؟ وَعَلامَ يَدُلُّ ذَلِكَ؟
16- هَلْ تَحَقَّقَ مَا طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟ كَيْفَ؟
17- كَيْفَ كَانَ العِقَابُ الأَخِيرُ لِأَهْلِ سَبَإٍ؟

من قصص القرآن

الغلام و الساحر	سبأ وتبع
أصحاب البستان	بقرة بني إسرائيل
أصحاب السبت	أصحاب الكهف
صاحب الجنتين	السامري
قارون	أصحاب الفيل
مؤمنو آل فرعون	لقمان الحكيم
عزير عليه السلام	مؤمن آل ياسين
آيات موسى التسع	يوشع عليه السلام
طالوت وجالوت	الراهب المغرر به



المكتبة الخضراء
للطباعة و النشر و التوزيع

1 أ شارع الزواوة الشراقة الجزائر



الهاتف/فاكس: 66 70 36 21 0 /25 46 37 21 0 /65 58 37 21 0
E-mail:bibliotheque_verte@yahoo.com/ www.bverte.net